مختصـر ابن كثير

بسم ا الرحمن الرحيم .

- 1 - اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون .

- 2 - ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون .

- 3 - لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون .

- 4 - قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم .

- 5 - بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون .

- 6 - ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون .

هذا تنبيه من ا D على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس في غفلة عنها أي لا .

يعملون لها ولا يستعدون من أجلها روي عن النبي صلى ا عليه وسلّم { في غفلة معرضون } قال : " في الدنيا " (الحديث أخرجه النسائي عن أبي سعيد الخدري) . وقال تعالى : { أتى أمر ا فلا تستعجلوه } . وقال أبو العتاهية : .

الناس في غفلاتهم ... ورحا المنية تطحن .

وروي عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم مثواه وكلم فيه رسول ا صلى ا عليه وسلّم فجاءه الرجل فقال : إني استقطعت من رسول ا صلى ا عليه وسلّم واديا في العرب وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا : { اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون } ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزل ا على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال : { ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث } أي جديد إنزاله { إلا استمعوه وهم يلعبون } كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب با تقرأونه محضا لم يشب (أخرجه البخاري بنحوه ومعنى لم يشب : أي لم يخلط بغيره من الأباطيل والأضاليل) . وقوله : { وأسروا النجوى الذين ظلموا } أي قائلين فيما بينهم خفية { هل هذا إلا بشر مثلكم } يعنون رسول ا صلى ا عليه وسلّم يستبعدون كونه نبيا لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال { أفتأتون السحر وأنتم تبصرون } أي أفتتبعونه فتكونون كمن يأتي السحر وهو يعلم أنه سحر فقال تعالى مجيبا لهم عما اقترفوه واختلقوه من الكذب { قال ربي يعلم القول في السماء والأرض } : أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي أنزل هذا

القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذي يعلم السر في السماوات والأرض .

وقوله تعالى : { وهو السميع العليم } أي السميع لأقوالكم العليم بأحوالكم وفي هذا تهديد لكم ووعيد وقوله : { بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه } هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا وتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه أضغاث أحلام وتارة يجعلونه مفترى كما قال : { انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا } وقوله : { فليأتنا بآية كما أرسل الأولون } يعنون كناقة صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال ا : { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون } الآية . ولهذا قال تعالى : { ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون } (أخرج ابن جرير عن قتادة قال قال أهل مكة للنبي عليه السلام : إن كان ما تقول حقا ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبا فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن شئت كان الذي سألك قومك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا وإن شئت استأنيت بقومك . فنزلت الآية : { ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها }) أي ما آتينا قرية من القرى التي بعث فيها الرسل آية على أيدي نبيها فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك ؟ كلا بل { إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ... ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم } هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدي رسول ا صلى ا عليه وسلّم ما هو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الأنبياء صلوات ا وسلامه عليهم أجمعين